

الخبيثات - 27-12-2007

118- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقااة

والحلم (19)، الحلم (20)

الحلم (19)

انبهرت بالشقة الجديدة بعد تسلمها، ففحصت كل موضع بنظراتي، امتلأت جواحي بالسعادة وقلت لنفسى من الآن يحق لى أن اشغل وظيفة وعلى أن أسعى إليها دون تأخير.

وذهبت الى السوق، المكان واسع المساحة، مسور بسور من البناء المتين، وظهرت اوراق ملكية الشقة فسمحوا لى بالدخول.

المكان مكتظ بالخلق، تحت وجوها احببتها كثيرا ولكنهم جميعا كن متأبطات اذرع رجالهن، وذهبت الى النافذة المقصودة وقدمت أوراقى وفي مقدمتها أوراق ملكية الشقة الجديدة، وفحصها الرجل وسجلها وقال لى: "لا توجد الآن وظائف خالية، وسوف نتصل بك، فى الوقت المناسب".

شعرت بخيبة أمل وشعرت بأنى سأنتظر طويلا ورجعت مخترقا الجموع ومتأملا بعجلة الوجوه الجميلة التى احببتها فى الماضى، ولبثت فى الشقة وحدى، وفى الطريق سمعت رجلا يقول بصوت جهير "لا معنى لأن يملك شخص شقة دون ان يشغل وظيفة.. الأولى أن يتركها لغيره فيمن يحظون بفرص أكثر لشغل وظيفة". .. وكأنه يعنى بقوله، وما دامت الفكرة وجدت فقد تتحول إلى واقع.

وساورنى الشك والهم، وانتظرت ما يجئنه الغد بعين قلقة مؤرقة.

القراءة

"المكان" - "الهوية" - "الحركة" - "الذات"،

هذه الرباعية المفتوحة هى من أهم ما يشكل لوحات هذه الأحلام/الإبداع حتى الآن.

الشقة هنا [1]1] بدت بمثابة بداية الاعتراف بأنه قد

أُفسح له مكان في هذه الدنيا، بأنه قد "تواجد"، بأنه قد تم الاعتراف له بوجوده، ومن ثمّ فليبدأ الرحلة إلى العالم الخارجي.

لا يمكن أن يظل هذا الوجود "السعيد" حبس الشقة مهما كانت جميلة، عليه أن ينطلق من هذه البداية الطيبة المرحبة إلى العالم! إلى الناس، مازال الاعتراف صادقاً مرحباً حتى خارج الشقة (السوق المكان واسع المساحة) فالخركة فيه ممكنة وطليقة، وفي نفس الوقت آليات الدفاعات جاهزة وقادرة (السوق مسور بسور متين) [2]2

سُمح له بالدخول ليبدأ رحلة "العلاقة بالآخر"، "بالآخرين" التي بدأت بقدر آخر من السماح كاد يكمل ما بلغه من شقته الجميلة.

في جملة واحدة، مع الانتباه إلى الضمير المتصل في: "لكنهن"، و"أهن"، يمكن أن ننتبه إلى أن الوجوه التي أحبها كثيراً كانت لأخرى مشغولات بغيره، لم تنتبه إحداهن إليه أصلاً، فكل واحدة متأبطة ذراع رجلها.

لا يكفي أن "توجد"، ولا أن يُسمح لك بالدخول، حتى "تكون": "تفعل": تَبْجُز، تقوم بدور ما في الحياة (وظيفة) يؤكد وجودك.

ثمّة إشارة هنا تشير إلى كيف أنه لو وجدت "أخرى" تتأبط ذراعاً فإنه يمكن أن يُعترف بك من جديد، الأخرى تبدأ من الأم في الخارج، لتتكرر باستمرار، إلى ما يؤكد الوجود مجدداً، ومن ثمّ تستطيع أنت أن تستمر، وأنت تقوم بـ "دورك" الواعد (الوظيفة).

هنا نرجع إلى السؤال الأشهر:

هل نحن "نفعل" "فنوجد"؟

أم أننا نوجد فنأخذ الفرصة أن نفعل فيتحقق وجودنا، ففرصة أخرى، وهكذا؟

واجهنا الخلم هنا بأن الاعتراف بهذا الوجود المبثى مهما كان مرحباً به، يمكن أن يصبح بلا قيمة إذا لم يؤدّ إلى فعل بناء، (وظيفة) مع رفيقة مصاحبة.

إذن من يتصور منّا أن مجرد الاعتراف بوجوده (الشقة الجميلة، والسماح له بالدخول إلى السوق)، هو مبرر كاف لأن يكون له "دوره"، هو مخدوع، ومن ثمّ هو مهدد بالطرد من الوجود، ما ظل وحيداً، عاجزاً عن التواصل أو محروماً منه، ولا يبقى له إلا التأمل في ذكريات وجوه جميلة أحبها في الماضي، فقط، فيرتد إلى وحدته (ولبثت في الشقة وحدي).

إن الذي يؤكد الوجود هو التواصل، ومن ثمّ "الفعل".

يتحرك "وجود" الواحد منأ بعد الإقرار المبثى حين يجد من تتأبط ذراعاه، ثم يعثر على وظيفة. (دور)

وحتى لو لم يُعترف ابتداء بوجوده (الشقة)، فإن ممارسة الفعل (متأبطاً ذراع من يجب إلى الوظيفة: دوره الفاعل في الحياة) هو السبيل أن يوجد وهو يخلق هويته بتجدد متصل.

وبعد

فإذا كان الحلم قد نبه مباشرة إلا أنه لا معنى "للإقرار بالوجود دون فرصة الفعل في حضور آخر، أو عبّر حضور آخر، فإنه قد أكد أيضا أن من لا يجد له دور، فعليه أن ينسحب أو يقبل أن يُسحب منه الاعتراف بوجوده (أنظر نهاية حلم 18) يومية 2007-12-20 (حلم 17، حلم 18)

الحلم (20)

خرجنا باحثين عن مكان طيب نغضي فيه بعض الوقت. ونظرنا إلى الهلال ثم تبادلنا النظر. ورأيت علي ضوء الصباح رجلا عملاقا لم تر العين مثله ارسل عمودا لا مثيل لطوله نحو الهلال حتى بلغ طرفه. وراح بحركة ماهرة يفرد طبقات نوره حتى استوى بدرا وسعنا اصوات تهليل فهللنا معها وقلت انه لم يحدث مثل هذا من قبل فصدقت على قول، وانساب النور على الكون رفعت على سطح الماء فهفتت "ليلة قمرية" فقلت "القارب يدعوننا" وركبنا ونحن في غاية السرور، وغنى الملاح "رايداك والني رايداك"، واسكرنا الفرح فاقترحت ان نسبح حول القارب وخلصنا ملابسنا ووثبنا الى الماء وسبحنا ونحن في غاية الامتنان ولكن القمر تراجع فجأة الى الهلال واختفى الهلال.. انزعجنا انزعاجا لم نعرف مثله من قبل، ولكنني شعرت بانه يجب مراجعة الموقف بما يتطلبه من جدية فقلت ونحن غارقان في الظلام "النسبح نحو القارب" فقلت "وإذا ضللتنا الطريق؟" فقلت: "نستطيع ان نسبح حتى الشاطئ فقلت: "سكون عاريين على الشاطئ" فقلت: فليؤجل التفكير في ذلك.

(الخط تحت بعض العبارات ليس في الأصل)

القراءة

الحركة هنا تمتد إلى حوار فاعل بين الانسان والكون، يتكرر الاقرار بالدهشة والتنبيه للغرابة منذ "البداية" إلى النهاية: العملاق "لم تر العين مثله"، وفرد طبقات النور لتشكيل الكون "لم يحدث قبل هذا من قبل" وحتى الانزعاج من تقلب الأحوال لم يعرف مثله من قبل (انزعجنا انزعاجاً لم نعرف مثله من قبل)...

هذا حلم به تقرير مباشر لحجم الدهشة لأحداث الخارج والداخل معاً، وهو يستأهل ذلك.

المكان يتداخل بعضه في بعضه، ليس فقط بين النهر والشارع (مثل حلم 18) ولكن من عمق ما إلى/على "سطح الماء" إلى السماء،

الذى يرفع هنا هو النور الذى انساب من معجزة فرد طيات عمود النور لينقلب الهلال بدرا بفعل الانسان فى الكون.

هكذا بدت لى أن ثمة تذكرة لى يستعيد الإنسان دوره فى الحوار مع الكون (انظر يومية الثلاثاء 26-12-2007 قراءة النص: بين التفسير والاستلهام) وصلنى أن ثمة محاولة لإظهار كيف يمكن أن يتصلخ الإنسان مع الكون فاعلاً، ثم تتأكد المسألة من خلال أنها ليست إرادة تَعْمَلِق، بل رغبة طيبة، فى جَوْ ظانط "رايداك والنبي رايداك"

فَرَحَةٌ نشطة، وسباحةً واثقة،

لكن الدورة دوارة، فهذه القدرة ليست ثابتة ولا مطلقة، وهى قدرة مؤقته إما بطبيعتها وإما بقانون الايقاع الحيوى (دورات النور والظلام) ونبض النوم واليقظة،

الظلام هنا ليس نقيض النور، وإنما هو يبدو الوجه الآخر له مكملاً للدورة، ذلك أن الثقة فى النجاة وتغيير الاتجاه مازالت واردة وواعدة

(الظلام ربما يكون هو إطار الحلم الذى يحدث أثنائهُ النشاط الدورى فى الايقاع الحيوى).

فى الحلم نتعرى، لكن مع الاحتفاظ بالقدرة على إعادة التنظيم.

التهديد المرعب أن يمتد هذا التعرى إلى اليقظة (فهو الجنون).

لكنه احتمال بعيد.

حتى لو حدث، فإن له تناول مناسب،

"فليؤجل التفكير فى ذلك".

[1] - فى الدراسة الطولية، أمل أن تتاح الفرصة لمراجعة حضور "الشقة" المتنوع فى عدد متواتر من الأحلام، ودلالات الحركة منها وإليها وحولها.

[2] - يحسب الناس أن الدفاعات النفسية mental mechanisms (الكبت والاسقاط والتبرير... الخ) هى آليات لا يستعملها إلا العصابين، مع أنها أساس متين لحماية الذات من إغارات الداخل والخارج، شريطة أن تكون مرنة وقابلة لإعادة التشكيل والتراجع تدريجياً - عادة مع كل نوبة نمو - لصالح آليات النضج والتكامل.